

# المسألة الحبشية

## بين ايطاليا وانكلترا

### بقلم باحث دبلوماسي كبير

الحبشية من خلاف بين بريطانيا العظمى وايطاليا ، وما يشهده فوز ايطاليا في شرق افريقية من غناوف على مصالح الامبراطورية البريطانية ومستقبلها ، ينذر بانفجار قد لا تقف عواقبه عند الحسومة الانكليزية الايطالية ، بل قد يؤدي إلى حرب أوربية عامة ينكب العالم كله بويلاتها وعواقبها

يبد أنه يجب ألا نبالغ في تقدير الموقف بهذا المياري القائم ، فهناك ظروف واعتبارات كثيرة يجب تقديرها إلى جانب هذه الظواهر المزججة . ولنبدأ ببحث الموقف في الحبشة ؛ فقد تقدم الايطاليون داخل الحبشة في الأسابيع الأخيرة ، واستولوا على ولاية تجمري كلها ، وهي التي تقع فيها بحيرة تانا والنيل الأزرق ، وتقدموا أيضاً في الجنوب ، وأصابوا الجيوش الحبشية بعدة هزائم شديدة ، وهم زحفون بسرعة نحو العاصمة الحبشية ، وقد تسقط في أيديهم قبل أن يظهر هذا المدد من (الرسالة) ؛ وفي الأخبار الأخيرة أن النجاشي قد غادر الحبشة مع أسرته إلى فلسطين على بارجة انكليزية بعد أن فقد كل أمل في الدفاع والمقاومة ، ولكن هل يمتنى ذلك كله أن قوى الحبشة الدفاعية قد أيدت نهائياً كما يزعم الايطاليون ، وأن ايطاليا قد حققت ظفرها كاملاً شاملاً ، وأنه لم يبق عليها إلا أن تملئ شروطها على الحبشة وعلى عصبة الأمم ؟ إن نظرة إلى خريطة الحبشة تنقض هذا الزعم ، فان التقدم الايطالي لم يجاوز حتى الآن المناطق الأهمرية ، ولم يتوغل الايطاليون في الحبشة الأصلية بعد ، ولا زالت أمامهم دون الاستيلاء عليها مناطق وعرة ؛ والجيوش الحبشية لم تسحق كلها ولم تبد ، ولكنها اضطرت أن تراجع أمام الغازات الخائقة وغيرها من الوسائل الفتاكة التي لم يحجم الايطاليون عن الالتجاء إليها خلافاً لكل قانون وميثاق حينما رأوا هجرتهم عن التقدم بوسائل الحرب المشروعة ، وهي ما زالت تصمد للايطاليين في الجنوب وحينما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ؛ وإذا قارنا ما استولت عليه ايطاليا حتى الآن من أراضي الحبشة بما كان مقترحاً أن يعطى لها في مشروع « لا قال - هور » ألفينا أنها رغم انتصاراتها التتالية لم تحقق بعد كل ما كان يراد أن يعطى لها بمقتضى هذا المشروع غنيمة باردة ؛ والفرق بين الحالتين أنها تدفع اليوم لتقدمها ثمناً فادحاً من المال والرجال

يجزع الكثيرون من خصوم الاستعمار وأبناء الامم المغلوبة لما أصابت ايطاليا بوسائل النصف الشائن من ظفر وتقدم في غزوه الحبشة ، وما أصاب الحبشة من خذلان وتضعف في مقاومتها للمتدين على حرياتهما ؛ ويجزع الكثيرون من أنصار السلام لما يتذره ظفر ايطاليا على هذا النحو ، وما تنذره المشكلة الحبشية كلها من خطر دائم على السلام

وقد يلوح لأول وهلة أن الفريقين على حق في هذا الجزع ؛ ذلك أن ما أبدته ايطاليا الفاشستية من إقدام وجرأة في انتهاك اليهود والموائيق ، وما ارتكبت في سبيل مشروعها الاستعماري من ضروب السفك والمنف ، وما لجأت إليه لسحق الأحباش من وسائل مجرمة مثيرة كاستعمال الغازات وغيرها ، ينذر بالويل كل أمة ضعيفة لا تقوى على مقاومة الاعتداء بمثله ، ويمتئ ألياس في نفوس الأمم المغلوبة ، لأنها ترى الاستعمار يثبت أقدامه ، ويزيد جرأة وعدواناً وعنفاً ؛ ولأن ما تبصره المشكلة

الرجل لا يعرف شيئاً - ولست أدري كيف دبرت الأمر ، ولكنك على كل حال أحسنت التدبير ، ولولا هذه القابلية التي زعمتها ممرضة لاطمان قلبي ، وأمنت الاقتضاح ، ولكنها على ما يظهر استطاعت أن تكتم السر فالحمد لله . والآن وقد أخرجتني إلى الكلام أفلا يحسن بعد ذلك أن تعفيني من حديث الزواج التي لا تملينه ؟

فلم تقل شيئاً حتى سمعته يحدث نفسه ويقول « مسكينة . مسكينة »

فنهضت وسأته « أتعتطف عليها » فأشار بيده إشارة من يريد أن تذهب عنه وهو يقول « بلهاء » ولم يدر بينهما بعد ذلك كلام في الموضوع  
ابراهيم عبد القادر المازني

ولقد كان موقف العصبة إزاء هاتين السياستين المتناقضتين يدعو الى الرثاء ، فلا هي استطاعت رغم تأييد السياسة البريطانية أن تسير في تطبيق العقوبات الاقتصادية على إيطاليا بالحزم الواجب تأييداً لمبدأ السلامة الاجامية الذي تعمل باسمه : ولا هي استطاعت بأية وسيلة أن تجعل إيطاليا على وقف اعتدائها المصارع ، أو قبول الصلح في الحدود التي رسمتها منذ بداية الاعتداء ؛ بل ولا استطاعت أن تجعل إيطاليا على احترام أبسط قواعد الحرب الشرعية والمدول عن الالتجاء الى الوسائل الممجبة الفتاكة من غازات قاتلة ومحرقه وغيرها ضد شعب يكاد يكون أعزل إزاء وسائل التسليح الحديثة ؛ وما زالت عصبة الأمم منذ أشهر تجتمع وتسوف على غير طائل ، وإيطاليا تمضي في اعتداء هو أشبه بالقرصنة المجرمة منه بالحرب المشروعة ، فتمزق الأحباش بحارين ومسالين بغازاتها وطياراتها ، وعصبة الأمم لا تكاد تجد ما تقوله إزاء هذه النذالة التي تثير استنكار العالم المتمدن بأسره ، إذا استثنينا بعض الجهات الاستعمارية الجشعة التي ترى فوز إيطاليا عاملاً في تثبيت أقدام الاستعمار في أفريقية

\*\*\*

هذا ومن الخطأ أن نعتقد أن مجرد استيلاء الإيطاليين على الأراضي الحبشية يكفل تحقيق الأمان الإيطالية ، ويبتعد حلاً نهائياً للمسألة الحبشية ؛ ذلك أنه يجب على إيطاليا إذا أرادت أن تستغل ثمار ظفرها ، أن تحتفظ بما استولت عليه من الأراضي ، وأن تسحق كل مقاومة من جانب الأحباش ؛ ولكن المعروف أن دون هذه الغاية صعباً جمة ، وأن إيطاليا ستلتقي مدى حين مقاومة مستمرة من الأحباش ، وستضطر إلى أن تتكبد في هذا السبيل جهوداً ونفقات قد تعجز عن الاستمرار فيها إذا طالت مقاومة الأحباش ؛ بل يرى بعض الثقات اليوم أن إيطاليا قد استنفدت بالفعل في هذه الحروب الاستعمارية العنيفة كل مواردها القاعية ، وأنه إذا بدأ فصل الأمطار في الحبشة قبل أن تسحق مقاومة الأحباش بصورة حاسمة ، فإن مركزها وخطتها في الحبشة تعرض لأشد الأخطار

ويجب أن نذكر إلى جانب ذلك عاملاً حاسماً آخر ، وهو موقف انكاثرا من المسألة الحبشية ومن إيطاليا ، وهو موقف ستكشف الأيام القرية عن حقيقته

\*\*\*

على أن ظفر إيطاليا الحربي في الحبشة لا يكفي لتسوية المسألة الحبشية مهما كان مدى هذا الظفر ؛ ففي وسع إيطاليا أن تستولي عسكرياً على الحبشة كلها ، ولكن الاحتلال العسكري لا يمكن أن يعتبر مستقراً أو نهائياً ، ولا يمكن بأي حال أن يعتبر خاتمة المشكل ، ولا بد أن تحسب إيطاليا أعظم حساب لموقف السياسة البريطانية ؛ ذلك أن بريطانيا العظمى ترى في استيلاء إيطاليا على الحبشة وتوسع الاستعمار الإيطالي في شمال افريقيه خطراً عظيماً على سيادتها ونفوذها في وادي النيل وشرق أفريقيه ، وترى في نهوض إيطاليا الاستعمارية وفي اضطراب الروح الفاشستية بالأطباع والمشاريع الاستعمارية خطراً أعظم على سيادتها في البحر الأبيض والبحر الأحمر وعلى مواصلاتها الاستعمارية التي تسهر على حمايتها بيقظة متناهية ، فالمسألة الحبشية في ذاتها تحتل في نظر بريطانيا مكاناً ثانوياً ، ولكن المسألة الجوهرية هي ما يترتب على فوز إيطاليا واعتزاز الروح العسكرية الفاشستية بهذا الفوز ، وهي روح اعتدائية أخذ يبدو خطرها في البحر الأبيض ظاهراً ملموساً ؛

وعصبة الأمم ماذا كان موقفها إزاء هذا الاعتداء الثاني ؟ لقد بدأت العصبة بداية حسنة ، فأسندت تبعه الاعتداء إلى إيطاليا ، وقررت تطبيق العقوبات الاقتصادية ضدها ؛ وكان للسياسة البريطانية أكبر نصيب في تنظيم هذه الحركة الدولية الخطيرة ؛ ولكن فرنسا التي تربطها بإيطاليا معاهدة صداقة خاصة واتفاقات سرية ذاع أمرها فيما بعد ، قاومت سياسة العقوبات رغم موافقتها نظرياً على تقريرها ، ووقفت الى جانب إيطاليا موقفاً كان له أكبر الأثر في شل سياسة العقوبات ، ومجزع عصبة الأمم عن تقرير عقوبات أخرى كانت تزعم فرضها كتحريم اصدار الزيت والحديد الى إيطاليا ؛ هذا ولم يبق سراً أن فرنسا تشد أزر إيطاليا في هذه الحرب الاستعمارية بصفة إيجابية ، وانها تعاونها بالقروض السرية ؛ وهي من جهة أخرى تعرقل تصدير السلاح الى الحبشة من طريق جيبوتي ، خلافاً للاتفاقات المعقودة فتزيد بذلك في اضعاف المقاومة الحبشية وتمهيد السبيل لتفوق الجيوش المعتدية

أن تسفح الفرصة لتقرير العقوبات الجديدة عقب الانتخابات الفرنسية الجديدة ، فقد ظهر منها أن فرنسا تميل هذه المرة الى أحزاب اليسار ، وأحزاب اليسار تؤثر تأييد عصبة الأمم وبيدأ السلامة المشتركة ، وترى أن هذه السياسة أقرب الى تحقيق السلام من سياسة التلون والمذاقة التي جرت عليها فرنسا إزاء المشكلة الحبشية ، وهي سياسة دفعت ثمنها غالياً في مسألة الرين وتقض ألمانيا لماهدة لوكارنو ، حيث خذلتها انكلترا في هذا المأزق ، وألقت عليها درسا عميق الأثر

ويرى بعض أقطاب السياسة البريطانية فوق ذلك أنه يجب على إنكلترا إذا اقتضى الأمر أن تلجأ إلى إجراءات الحصار العسكرية ، فتتلقى قناة السويس بموافقة عصبة الأمم ، وتقطع بذلك مواصلات إيطاليا مع شرق إفريقيا ، وهذا إجراء قدي يودي إلى تشوب الحرب بين إيطاليا وانكلترا ، لأن موسوليني ما فتى يهدد بأنه يعتبر إغلاق قناة السويس إجراء عدائياً عسكرياً يجب عنه بالمثل ، ولكن أصحاب هذا الرأي يزعمون أنه خير أن تضطلع انكلترا بمبع حرب محلية في البحر الأبيض من أن تترك الفاشستية تمضى في تهديدها للسلام حتى تنشب حرب أوربية أو عالمية ؛ ويقولون إنه ليس لإيطاليا أن تحتج بخرق المعاهدات الدولية في مسألة اغلاق القناة بعد أن خرقت هي كل المهود والمواثيق الدولية ، وهذه النظرية تلقى اليوم كثيراً من التأييد في انكلترا ، بيد أنه يلوح لنا أن السياسة الانكليزية الرسمية مازالت بعيدة عن الأخذ بها

إن السياسة الانكليزية تعتمد كثيراً على الزمن وعلى تطور الحوادث والظروف ؛ وإذا كانت الظروف لم تحقق إلى اليوم تقديراتها وأمانها ، فليس من ريب في أن استتالة الحرب الحبشية تستنفد قوى إيطاليا ومواردها ، وتضمف مراكزها في أوروبا ؛ وقد حققت الحرب الاستعمارية الطاحنة التي تدور في الحبشة منذ سبعة أشهر كثيراً من دواهي هذا الانهالك ؛ ولا عبرة بمظاهر النصر الخلاب التي تحول إيطاليا بها ، فانها تدفع في سبيلها أفدح الأثمان ؛ وما زال الزمن عاملاً حاسماً في اخراج الجدوة الاستعمارية الفاشستية وردها إلى الصواب

\*\*\*

والسياسة البريطانية تعمل منذ بدء المشكلة الحبشية وراء عصبة الأمم ووراء مبدأ السلامة الاجامية ؛ وقد كانت تتوقع عند فوزها بتقرير سياسة العقوبات الاقتصادية أن هذه العقوبات ستحدث أثرها في أهبة إيطاليا وفي مواردها بسرعة ، فتقبل الصلح على الأسس التي وضعتها عصبة الأمم ؛ ولكن السياسة الفرنسية المأذقة التي تعمل من وراء الستار لشد أزر إيطاليا حالت كما رأينا دون تحقيق هذه الغاية ، واستطاعت إيطاليا أن تحرز بوسائلها العسكرية المجرمة في الحبشة انتصارات خطيرة ؛ فالسياسة البريطانية تجد الآن نفسها بعد فشل سياسة العقوبات ، وانهايار المقاومة الحبشية ، في موقف حرج ؛ وإذا كانت خطتها التالية لم تتضح بعد ، فانه مما لا ريب فيه أن وجهة نظرها إلى الوقف لم تتغير بل ربما كان اهتمامها اليوم بقمع الخطر الابطالى على مصالحها ومواصلاتها أشد منه في أى وقت آخر

ومن المحقق أن السياسة البريطانية تؤثر العمل بوسائل لا تدفعها إلى الحرب ؛ والظاهر من تصريحات مستر إيدن وزير الخارجية البريطانية في جنيف ، وتصريحات مستر بلودين رئيس الوزارة ، وأقوال الصحف البريطانية ذات الزأى ، أن انكلترا ما زالت ترى المضي في سياسة العقوبات الدولية ، مستتلة بعصبة الأمم ومبدأ السلامة المشتركة ، وأنها ستقوم بمحاولة أخرى في هذا السبيل قبل أن تفكر في الالتجاء إلى وسيلة أخرى ؛ والظاهر أيضاً أن أنصار هذه السياسة يزعمون أن الانتصارات الإيطالية الأخيرة في الحبشة لا تقوم على أسس مستقرة ؛ وأن إيطاليا لا تستطيع المضي طويلاً في الاضطلاع بهذه الاعباء والتضحيات الفادحة التي تضطلع بها ، وأن أحوالها الاقتصادية الداخلية بلغت مأزقاً خطراً ، فاذا استطاع الأحياش أن يصمدوا في الجنوب وأن يحتفظوا بنوع من المقاومة بضعة أسابيع أخرى حتى يبدأ فصل الأمطار ؛ وإذا ظفرت انكلترا أثناء ذلك بحمل عصبة الأمم على تقرير عقوبات جديدة أخصها حظر الزيت ، فان الخبراء يزعمون أن خطط إيطاليا العسكرية تعرض في هذه الفترة إلى أشد الأخطار ، فقد يستطيع الأحياش في فترة الأمطار أن ينظموا قوام مرة أخرى ، وتكون موارد إيطاليا قد نفذت أو أوشكت على النفاد فتضطر إلى وقف الحرب وقبول الصلح ؛ وتؤمل السياسة البريطانية